أضحت بفضل أبي إسحق ناطقة صحائف شهدت بالعلم والورع
بها المعاني كسلك العقد كامنة واللفظ كالدر سهل جد ممتنع
رأى العلوم وكانت قبل شاردة فحازها الألمعي الندب في اللمع
لا زال علمك ممدوداً سرادقه على الشريعة منصوراً على البدع

ولأبي الحسن القيرواني

إن شئت شرع رسول الله مجتهداً تفتي وتعلم حقاً كلما شرعا
فاقصد هديت أبا إسحق مغتنماً وادرس تصانيفه ثم احفظ اللمعا

ونقل عنه رحمه الله قال بدأت في تصنيف المهذب سنة خمس وخمسين وأربع مائة
وفرغت منه يوم الأحد آخر رجب سنة تسع وستين وأربع مائة وتوفي
رحمه الله ببغداد يوم الأحد وقيل ليلة الأحد الحادي والعشرين من جمادى الآخرة
وقيل الأولى سنة ست وسبعين وأربع مائة ودفن من الغد واجتمع في الصلاة
عليه خلق عظيم قيل وأول من صلى عليه أمير المؤمنين المقتدي بأمر الله ورُئي
في النوم وعليه ثياب بيض فقيل له ما هذا فقال عز العلم فهذه أحرف
يسيرة من بعض صفاته أشرت بها إلى ما سواها من جميل حالاته وقد بسطتها
في تهذيب الأسماء واللغات وفي كتاب طبقات الفقهاء فرحمه الله ورضي عنه وأرضاه
وجمع بيني وبينه وسائر أحبابنا في دار كرامته وقد استخرت أن أقدم في أول
الكتاب فصولاً تكون لمحصله وغيره من طالبي جميع العلوم وغيرها من وجوه الخير
ذخراً وأصولاً وأحرص مع الإيضاح على اختصارها وحذف الأدلة والشواهد
في معظمها خوفاً من انتشارها مستعيناً بالله متوكلاً عليه مفوضاً أمري إليه

فصل في الإخلاص والصدق وإحضار النية في جميع الأعمال البارزة
والخفية قال الله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال
تعالى فاعبد الله مخلصاً وقال تعالى ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله
ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله

رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنما الأعمال بالنيات وإنما
لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت
هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه حديث متفق على صحته
مجمع على عظم موقعه وجلالته وهو أحد قواعد الإيمان وأول دعائمه وآكد الأركان
قال الشافعي رحمه الله يدخل هذا الحديث في سبعين باباً من الفقه وقال أيضاً هو ثلث
العلم وكذا قاله أيضاً غيره وهو أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام وقد اختلف في
عدها فقيل ثلاثة وقيل أربعة وقيل اثنان وقيل حديث وقد جمعتها كلها في جزء الأربعين
فبلغت أربعين حديثاً لا يستغني متدين عن معرفتها لأنها كلها صحيحة جامعة
قواعد الإسلام في الأصول والفروع والزهد والآداب ومكارم الأخلاق وغير ذلك
وإنما بدأت بهذا الحديث تأسياً بأئمتنا ومتقدمي أسلافنا من العلماء رضي الله
عنهم وقد ابتدأ به إمام أهل الحديث بلا مدافعة أبو عبد الله البخاري صحيحه
ونقل جماعة أن السلف كانوا يستحبون افتتاح الكتب بهذا الحديث تنبيهاً للطالب
على تصحيح النية وإرادته وجه الله تعالى بجميع أعماله البارزة والخفية وروينا
عن الإمام أبي سعيد عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله قال لو صنفت كتاباً بدأت في أول
كل باب منه بهذا الحديث وروينا عنه أيضاً قال من أراد أن يصنف كتاباً
فليبدأ بهذا الحديث وقال الإمام أبو سليمان حمد بن محمد بن إبرهيم بن الخطاب
الخطابي الشافعي الإمام في علوم رحمه الله كان المتقدمون من شيوخنا يستحبون
تقديم حديث الأعمال بالنيات أمام كل شيء ينشأ ويبتدأ من أمور الدين لعموم
الحاجة إليه في جميع أنواعها وهذه أحرف من كلام العارفين في الإخلاص
والصدق وقال أبو العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما إنما يعطى الرجل على قدر
نيته وقال أبو محمد سهل بن عبد الله التستري رحمه الله نظر الأكياس في تفسير
الإخلاص فلم يجدوا غير هذا أن تكون حركاته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى
وحده لا يمازجه شيء لا نفس ولا هوى ولا دنيا وقال السري رحمه الله لا تعمل